الحالم

المقدمة

ضوء الشمس ساطع جدا و لا يحتمل، كما أن المكان صاخب و لا يسمح بنفاذ الأفكار إلا عقل مزدهر، دفعت بنفسي إلى الطريق يزدان بالأمل، فإذا بي أرى بصيص ضوء ينادي طلبا الركض بلا كلل.
لذا أفضل غزلة الليل و الغوص في الأحلام، في نوم عميق هادئ حتي تشرق الشمس من جديد. الحلم في معناه التقليدي هو ما يأتي بعد النوم من تخيلات و رأى خيالية لا تكون واضحة في معظم الأحيان، لكن في معناه الفلسفي نتعمق في الموضوع و نقول أن الحالم من يهرب من الواقع إلى عوالم أخرى تمنحه السعادة التي فقدها في يومه، هناك فقط تستطيع أن تخرج جل مشاعرك من دون أن تجبر على كبحها.
لذا في الأسطر القادمة لن أكبح مشاعري و سأخاطبكم كحالم من خلال قصة فلسفية بحت و أرجوا أن تتمهلوا في القراءة و تتعمقوا في معانيها و شكرا.

فضاء الأحلام

مرحبا أصدقاء يمكنكم أن تدعوني " حالم " أنضرو إلي ساعاتكم كم الساعة؟ إنها ساعة الرحيل بدأت تسقط شمس شديدة السطوع مقابل طلوع قمر صغير بضوء خافت يتوسط نجوم لامعة ما أجمل ذلك، أتسمعون إنها صافرة القطار لنصعد بهدوء المكان مزدحم قليلا، لسنا الوحيدين، هناك العديد من المسافرين لوجهات مختلفة، تتساءلون من هم، صراحة لا أعرف أي أحد منهم لكن يمكنني وصفهم لكم، في البداية هم متشابهون بشكل غريب و كأن نسخ من نفس الشخص ترتدي ملابس ليست متباعدة أيضا، في الزاوية يقف شاب يبدو في العشرينات يضع سماعة أذن و يعض على شفتيه بقوة بينما يحرك رأسه بحركة بطيئة للأمام و الخلف، و في المقعد هناك رجل كهل يغطي وجهه بقناع طبي و نظارات شمسية بينما يشبك أصابعه و يطقطق بقدمه، أسمعتم ما هذا الصوت إنه أنين إمرأة تضغط على معدتها بقوة بينما يكاد رأسها يلمس القاع، لماذا تبكي هل يمكنني سؤالها؟ لا أعتقد ذلك الجميع ينظر للأسفل و لا أحد ينطق بكلمة حتى مع أنين الإمرأة و الذي يزداد قوة شيئا فشيئا لم يلتفت إليها أحد ها قد وصلنا إلي المحطة المنشودة دعهم ينزلون و سننزل بعدهم، ها نحن ذا ما أراه أمامي غابة شائكة مرعبة يتوسطها طريق موحل نزل في هذه المحطة ما يقارب نصف الركاب و لا أدري أين يتجه البقية حسننا لنلتحق بالمجموعة لا تقلقو لن أضيع الطريق زرت المكان من قبل، هذا مقرف الطريق موحل بشدة لم يكن هاكذا في آخر زيارة لي لا تقلقو كدنا نصل ستفاجئون، أخيرا أنظرو أترون ما أراه إنها أشبه بمدينة للألعاب تتوهج بأضواء من مختلف الألوان و بين الأسقف تتدلى شرائط علق عليها بعض الشارات و الأعلام و قد إزدانت الجدران بأنابيب ضوئية، الأرض مبلطة ببلاط مزخرف إذ يحلوا لزائر المشي حافي القدمين، لنقطرب أكثر ها هي بوابة الدخول تعتليها لافتة كتب عليها " مرحبا بكم في فضاء الأحلام " لندخل المكان مفتوح للجميع، سأشرح لكم الأمر هذا مكان يجتمع فيه كل سكان

الليل حسب التسمية الشائعة لأنهم لا يعيشون إلا ليلا، المكان ينقسم إلي عدة زوايا كل شخص يزور الزاوية التي يريد ليقضي الوقت، أمعنو النضر في وجوه سكان الليل أترون تلك الإبتسامات و ضحكات لا يمكننا التجول بحرية قبل إرتداء زي الموحد الذي يرتديه الجميع كما ترون ها هو إنه على مقاسي تماما هيا إرتدو ملابسكم لنتجول و نمرح.

العازف الحزين

بماذا نبدأ زاوية الموسيقى؟ لا بأس هيا لندخل ببطء، واو! ما هذا نحن في حفلة موسيقية لا أعرف من أين يصدر هذا الصوت الجميل لكن الجميع هنا يتمايل بسعادة لا توصف و معظمهم يبكون، أنظروا هناك في الزاوية أليس ذلك هو الشاب نفسه الذي صعد معنا القطار لا يزال الحزن يسيطر عليه رغم أن من حوله يبدون سعداء، بصراحة لا أطيق هذا لنذهب و نحادثه لعلنا نواسيه و نخفف عليه حمله ما رأيكم، موافقون! هيا، « مرحبا » إنه لا يجيب ماذ نفعل سأعيد الكرة « صديقي مرح... »

- ماذا تريد؟
- آسف على إزعاجك لكنني رأيت أنك وحيد و مهموم و هذا لا يتطابق مع حرمة المكان كما تعلم.
- ليس من شأنك دعني وحيدا سأكون أفضل.
- لنكون أفضل معا

ها قد رفع رأسه وجهه شاحب و عيناه ذبلى من كثرة البكاء أستطيع إدراك ذلك و شفتاه متشققتان من قوة العض عليهما، لا يبدو بحال جيدة إطلاقا.

- لم أحاور شخصا منذ زمن طويل.
- ماذا أليس لديك من تحاورهم ؟
- بلا لكن لم أحاور شخصا في ما يستحق الحوار إلى مرة واحدة و ندمت أشد الندم
- أعرف أنني غريب عنك و هذا لقائنا الأول لكننا في النهاية حالمان و ندرك شدة ألم بعضنا عكس مخلوقات النهار تلك وحشيتها لا توصف.
- معك حق و كأنني في وضع يسمح لي بالسكوت أكثر، لكن أحذرك قد أنفجر في الحديث عاجزا عن كبح مشاعري.

- هذا ما أريده تماما أخرج ما في قلبك من سواد و آلام دعه يرحل مع الرياح ليقتله ضوء القمر.
- كما ترى يا صديقي أمامك شخص لا يزال في مرحلة الشباب، و ككل شاب حالم أردت و بشدة أن أكون شخص يسعد عائلته لكنهم يرفضون إسعادي في المقابل أحبت أمي أن أكون شخصا ثريا لا يضطر لمشاهدة البرامج السياسية و الإقتصادية، بينما أبي كان يريد أن يكون له إبن شهم لا يهاب شيئا و ناجحا ليرفع رأسه عاليا، أعلى من رأوس أصحابه لكنني شخص فاشل، فاشل جدا و لم إجد يوما فعل شيء، أعاني حتى مع الأمور التى يراه الجميع روتينية فما بالك بتطلعاتهم، هم يدركون عجزي لكن يرفضون تصديق أنفسهم وستمرت سلسلة إخفاقاتي دون ذكر الإساءات الإجتماعية و آلام الضمير إلي آخره جتى اليوم المنشود، اليوم الذي تغيرت فيه حياتي، اليوم الذي قررت فيه أن أجرب العزف على (piano) تلك النغمات الجميلة خليط بين النوتات الرقيقة تشعر و كأن يدا تداعب قلبك لم أشعر يوما بذلك الضغط، تشعر بأن مشاعرك تختلط بدمك و تدور بكامل جسمك و كأنها الأوكسجين الذي تتنفسه، لن أنكر أنني فشلت في تجاربي الأولى لكن ذلك لم يمس من ثقتي مثلما يحدث عادتا و أصررت على أن أكون موسقيا و قد أحب الكثير من الناس عزفي، « هنا أصبح صوته أكثر إرتفاعا » لأول مرة في حياتي أشعر بأنني موجود، بأن لي ركنا في هذه الحياة البائسة، بأن هناك من يعتقد بأنني قادر على فعل شيئ ما بطريقة صحيحة، كانت أياما و لا أروع، في البداية ظن والداي بأنني أمارسة هواية ترفيهية و لم يدركو بأنني قد ولدت من جديد بأن العزف ليس جزء من يومي أو من حياتي بل هو حياتي بحد ذاتها لم أرغب بتوقف و رفضت تطلعاتهم السخيفة فكان ردهم بأن الموسيقى لن تمنحني خبزا يأكل و أن مصيري محتوم و سأكون فاشلا في حياتي « و في هذه اللحظة تحديدا إنتصب واقفا و دموع تنهمر من عينيه و هو يسر بأسنانه صارخا بغضب » يعتقدون أنني سأكون فاشلا في الحياة كم هذا مضحك فالتعلموا أنني أمقتكم حتي آخر نفس، لما أجيبوني لما تريدونني أن أموت لما تريدون أن تبعدون عن الشيء الوحيد الذي جعلني أشعر بطعم الحياة لما تريدونني أن أعيش في جحيم آلام و الأحزان إلي الأبد، أهذا في سبيل المال، أنا مستعد أن

أموت جوعا مقابل أن أتخلى عن الموسيقى أفضل غذاء الروح على جسدي، تبا لهذا الجسد اللعين و لكل ما هو مادي تبا للحياة قد لا أنهي هذه الليل حتما لن أنهيها سأنهي هذه المعاناة متأكد من أن أمي لن تبكي على فراق قضارة مثلي، لربما ستفعل فقط ليقال أنها حزينة، لن أستمر يوما على هذه الحال إما أن يموتوا أو أن أموت أنا لا مجال للتراجع.

جلس صديقنا و هو يتنفس بصعوبة و قد احمر وجهه من فرط الغضب والاندفاع لكن ما فاجأني أن جميع من حولنا الذين يستمتعون بصوت الموسيقى لم يهتموا بصرخات الألم التي دوت في المكان بشكل مخيف و كأنهم لم يسمعوا و لربما كذلك من يدري، صراحة لم أستطع أن أنطق بكلمة واحدة بعد ما سمعت، كيف تعتقدون أن هذا الشخص ينام الليل بهذا الحمل على كتفيه سأحاول التخفيف عنه رغم أنني لن أنجح في ذلك

حثته على الوقوف لا أعرف ما أفعل ماذا آلة بيانو لم تكن هنا عند دخولي من يأبه بذلك لنجلس على الكرسي ضع يديك هنا و إبدأ بالعزف بينما تستمع لما أقول.

- أدرك شدة عذابك و أصارحك بأنني أحس بما وصفته منذ قليل « بدأ بعزف نوتات طويلة و هادئة بدأت أحس و كأن قلبي سينفطر لسماعي هذه، أصابعه تتكلم بدل لسانه » عندما تعزف لست من رواد المجال لكنني أحمل حاسة سادسة تخول لي مشاركة مشاعر الناس من سعادة و حزن، لا تتوقف عن العزف مهما حصل أتسمعني إياك و توقف، تذكر أنت حالم، و هذا المكان هو عالمك الأول وليس الثاني، ما يقال عنك ينتج عن عقول بالية لا يحق لهم التكلم بشأن أناس لا يعرفون حقيقة مشاعرهم لا يحق لأي إنسان أن يجبر أخاه بأن يكون عبدا لتطلعاته كآلة تنفذ ما برمجت عليه، لديك قلب، لديك عقل و يحق لك أن تعيش حياتك كما تريد فأنت لن تحيا مرتين ليس ذنبك أن إمكانياتك محدود أنت لم تخطر ذلك و ليس ذنبك أنك عازف ماهر، يسهل ملاحظة ذلك، لكن ذنبك أن تتخلى عن ما تجيده محاولا تحقيق ما لم تحبه يوما لما توقفت عن العزف إياك و توقف واصل، واصل! إجعل أصابعك تلتصق بتلك المفاتيح و قلبك يلتصق بصوتها الحنون، لن يموت أحد الليل بل سيولد نعم سيولد رجل شجاع على تحمل آلام الحياة رجل غني بالمشاعر، دموعك تلك لا تقدر بثمن لما تهدرها على من لا يستحق؟

هنا بدأ وقع الموسيقى يزداد حماسة و كأنه تقول " شكرا، أنا سعيد، كم أنا سعيد " بدأت أسترجع أنفاسي بصعوبة كنت قد انفعلت أكثر من اللازم لكن ذلك أجد نفعا الجميع يتحلق حولنا مهذا، الجميع يهتف « لا تستسلم » هذا ما جعله يبتسب حتى الضحك، هنا وضعت يدي على كتفه و قلت

- لا تدع جمهورك ينتظر هنا الجميع يحبك.
- شكرا لم يخاطبني أحد من قبل بمثل هذا الإحساس.
- لا يزال عليك مواجهة الواقع عند الصباح و تقف منتصبا شهما لا تزيحك الأعاصير.
- عذرا ماذا كان إسمك؟
- هنا ليس لدينا أسماء نادني حالم.
- هههههه ذلك مناسب.
- على فكرة إبتسامتك جميلة، حافظ عليها و أعزف لجمهورك من الحالمين.

ها هو ذا ينطلق كرضيع يجري للمرة الأولى لنغادر المكان و لندعهم يستمتعون بليلتهم بهناء، اه عاد كل شيء إلي طبيعته أخيرا.

العين الدامية و صرخة من القلب

ماذا نزور تاليا سأدع القرار لكم، ماذا؟ تريدون أن نمرح قليلا لا بأس أ...ظن أنه هنا نعم لندخل، تفحص المكان جيدا إنها قاعة ألعاب ضخمة، هناك لعبة " البلياردو " و هناك أيضا لعبة " شطرنج " و في الزاوية لعبة الأسهم، و الكثير مثل البولينج، كرة السلة المصغرة و لعبة رمي الأقراص، ما يفاجئك ليس تنوع وكثرة الألعاب بل هدوء اللاعبين لا تسمع كلمة واحدة تخرج من أفواههم، لا تسمع إلا الأصوات الناجمة عن الألعاب لا أكثر. أعتقد أنني سألعب الشطرنج لست ماهرا لكن لا بأس أحاول تطوير مهارتي ها هو مكاننا، من سيكون منافسنا، ها هو قادم مشيته غريبة لا يهم، يبدوا مألوفا نعم تذكرت، إنه ذلك الكهل الذي ركب معنا في القطار الذي يغطي وجهه بقناع طبي يا لها من مصادفة. جلس الرجل على الكرسي المقابل و لم يحرك ساكنا و لم ينطق بكلمة، كل شيء في مكانه و كلانا ينتظر أن يتكلم الآخر، لم أكن من المعاكسين و خاطبته :

- يا عم هل نلعب؟
- أعتقد ذلك

- ما قصدك بـ أعتقد
- كف عن الكلام و إبدأ اللعب
- لك ذلك

أخيرا بدأت اللعبة، بدأت أحرك البيادق بحذر باحثا عن الفوز فأنا لا أعرف مدى مهارة خصمي، في المقابل كان يفعل المثل، في أول خمس دقائق لعب لاحظة أشياء عديدة منها أن منافسي لا يزال يرتدي نظارات شمسية رغم ظلمة الليل، جلسته غير معتدلة على الكرسي و ينظر إلي لوح اللعب بطريقة غير طبيعية، لم أهتم لمثل هذه التفاصيل بكن ما أخذ تفكيري بعيدا أنه كثير الخطأ في اللعب و يتحرك بطريقة عشوائية، لم تكن هزيمته صعبة حتى أنه لم يعلم بإنتهاء اللعبة، هنا خرجت عن صمتي قائلا

- يا عم ما بالك؟
- لا شيء هل لاحظت شيئا غريبا؟
- تبدو مرتبكا قليلا.
- أوو نعم لا يهم، يبدو أنني خسرت.
- ألم تدرك ذلك
- ليس تحديدا، سأرحل الآن أراك لاحقا، وداعا.

وقف عن كرسيه بصعوبة ولا تزال تلك المشية الغريبة نفسها، بدأ يسرع الخطى حتى اصطدم بطاولة البلياردو و سقط أرضا، نظر إليه الجميع بتعجب بينما أسرعت أنا لمساعدته على الوقوف، شكرني على المساعدة و عدل إستقامة قناعه ثم صرخ قائلا « أين نظرتي أين هي لا أستطيع العيش من دونها أرجوكم ابحثوا عنها، هنا عرفت بأنه أعمى لأن نظاراته كانت أمامه مباشرة و لم يلحظ وجودها، تناولتها من الأرض و وضعتها في جيبي متظاهرا بالمساعدة في البحث لكن دون جدوى، ارتمى على الأرض وهو يكاد يبكي حزنا على ضياع نظارته الشمسية، قد أبدوا هنا قاسيا لكن ساورني فضول حوله يبدو غامضا جدا، سألته

- ما حاجتك لنضارة في هذا الليل الحالك؟
- أنت كثير الأسئلة أغلق فمك وواصل البحث « بدا غاضبا جدا »
- لا فائدة لقد ذهبت دون عودة
- إذن لا محالة سأغادر المكان.
- إنتظر قليلا يا عم الباب من هنا

أمسك رأسه بكلتا يديه و بدأ يردد كلمة « لا أصدق » و هو يكاد ينهار، لا ربما رأيت بعض دموع على عينيه، حصلت على مساعدة و حملناه إلى الكرسي ليرتاح قليلا، إنتظرته ليستعيد وعيه و خاطبته

- أيها العم لما زرتنا في هذه المدينة
- للإختباء، إنهم يبحثون عني و يطاردونني في كل مكان هل أنت منهم؟
- من هم ولما يطاردونك
- لا تبدوا منهم هذا جيد.
- أخبرني عنهم لعلني أساعدك
- حسنا لكن عدني أنك ستحميني، عدني بذلك
- لن أعدك بشيء قبل أن أعرف المزيد عن محنتك
- إنهم وحوش بأيدي كبيرة ومخالب حادة، وجوههم تشبه وجوه الكلاب بقرنين تعتلي رؤوسهم و شعر كثيف من أعلى الرأس لأخمص القدمين.
- يبدوا أنك لا تزال تحت تأثير الصدمة ارتح قليلا لتستعيدة عافيتك
- ليس بي شيء دعك من الهراء و استمع إلى ما سأقول، منذ سنوات طويلة عندما كنت مراهقا إلتقيت بهذه الوحوش لأول مرة، إنها همجية، لا ترحم فريستها و لا تمهلها فرصة للدفاع، غذائها الأساسي مشاعر البشر، غالبا ما يصطادون في مجموعات من إثنان إلى خمسة أفراد، يتحلقون حول الفريسة ثم يضعفونها بهالاتهم القوية ما إن يشعروا بأن عزيمة فريستهم قد ضعفت و هي سلاحها الوحيد يبدأون بتقطيعها حية بسخرياتهم اللاذعة والتي تستهدف مناطق حساسة من شخصية غذائهم، يستمر هذا العذاب لساعات وربما لأيام هذا يعتمد على مدى ضعف الضحية، فكلما كانت أضعف كلما طالت مدة العذاب، بعد التأكد أن أعصاب الضحية قد انهارت مما يجعله يستجمع شتات نفسه محاول المقاومة للمرة الأخيرة و بكل ما أوتيت من قوة، ينتقلون إلى الضرر الجسدي، هذه النقطة غير ضرورية بالنسبة لهم لكنها مهمة لإثبات قوتهم أمام مفترساتهم، بعد ذلك ينتقلون إلى التربص بالفريسة التالية و في الأغلب ما إن يمر الوقت الكافي لتنضج ثمرتهم من جديد يعودون لإلتهامها، و هكذا دواليك هجوم بعد هجوم بدون هوادة.
- لكن كيف لك معرفة كل هذا و أنت لا تراهم؟

- أستطيع الشعور بهالاتهم و قذارة مشاعرهم.

هنا تأكدت من أن ما ذكر من نسج خيال رفيقنا، لا يمكن أن تجسد أحاسيسه الواقع، ذلك لا ينفي أن ما ذكره نتيجة للعذاب الذي تحمله طيلة سنوات طويلة و ذلك الهذيان ما صوره عقله نظرا للضغط الكبير.

- بصراحة أعجز عن الكلام أعتقد أن...

إنتلق صراخ قوي من خارج الزاوية، ليس بصراخ عادي لقد إنتبه إليه الجميع و إستبغت وجوههم بصفرة شديدة و أسرعوا مرعوبين إلى الخارج، خرجت كما البقية فوجئت بما رأت عيناي إحتشد كل سكان الليل هنا حول صرخات قوية لا تنقطع، كما قلت ليست صرخات عادية، إنها ناتجة عن ألم كبير و قلب مكسور هذا ما يفسر كل هذا الإحتشاد، على ما أظن أنه لا يمكن لفت إنتباه السكان بمجرد أصواة عادية، هنا تلغى حواس الحالم بشكل نهائي لتمنح مساحة لخروج الحواس الباطنية، فيكون الشخص كمن في تأمل روحي قوي و لا يمكن أن يقاطع ذلك التأمل إلا قوة روحية مناقضة و هذا ما حدث هنا تماما، ذلك الصراخ ينبثق منه طاقة روحية سلبية أخرجت الجميع من تأملهم، تشعر بالقشعريرة تسري في جسمك بعد كل نفس يأخذه الصارخ، تشعر برعشة خفيفة تبدأ من صدرك و تتوسع في كامل جسمك و تتصاعد إلى رأسك عندها ترتعش شفتاك و رموش عينيك و تشعر بدفء غريب في كامل جسمك، تقدمت بين زحام الجميع متجمدون في أماكنهم من هول ما يشعرون به، مررت بصعوبة كبيرة، هنا إنقطعت أنفاسي رعبا، هناك مرأة ملقاة على الأرض و هي تضغط على معدتها و تصرخ، وجهها أحمر كحبة الطماطم لم يجرء أحد على إقتراب منها هذا إن كانوا يستطيعون، طاقتها الروحية تدفع بالجميع بعيدا، فجأة إنقطعت أنفاس المرأة و أغمى عليها عندها عاد الجميع إلى رجده و تم نقلها إلى مشفى قريب، (نعم نسيت أن أقول أنه يوجد مشفى في " فضاء الأحلام " لأولائك الذين ينهارون من شدة ألمهم الروحي) عاد الجميع إلى تأملهم و عدة أنا كذلك إلى ما كنت أفعله، لم أسر ثلاث خطوات و وجدة العم صاحب النظارات الشمسية جاثيا على ركبتيه و هو يرتعش بكامل جسمه، يمكن بسهولة ملاحظة الخوف الشديد في عينيه كما أن سواد مرعبا إعتلى قسمات وجهه ثم عاد إلى الهستيريا التى كان عليها في البداية، أخفى رأسه بين ركبتيه و هو يقول « إنهم هنا...هنا أستطيع الشعور بهم... هنا » إقتربت منه لتخفيف عليه لكنه كالمجنون لا يسطتيع إدراك شيء من حوله، ما أنا فاعل به هل آخذه إلى المشفى؟ ذلك صعب إلتفت إليه بهالة حازمة و خاطبته معاتبا.

- أين ذهبت بعيدا، إرفع رأسك و أنظر في عيناي لن ينفعك الهرب، حالك يرثى لها ستموت ألما هكذا عليك إستجماع شتات نفسك و نظر إلى الأمام صوب نقطة واحدة لا يهم ما يقال إن كنت حقا تؤمن بنفسك، لن تجدة أحدا يمنحك طاقة إيجابية للمواصلة، الجميع سيحاول إسقاطك و في المقابل عليك الدفع بنفسك للأمام و بدون هوادة إجعل عزيمتك صلبة كالصوان و أبصق في وجوه أعدائك بكل شجاعة.

يبدوا أنني انفعلت أكثر من اللازم لكن ذلك يصب في مصلحته على ما أعتقد، جاورته في الجلوس رغم أنني لم ألحظ تغييرا في حالته النفسية و عدة للكلام بهدوء أكثر هذه المرة

- تلك الوحوش الشيطانية التي وصفتها لي منذ قليل لا تتغذى على المشاعر كما قلت، لأكون أكثر دقة في وصفي أقول إنها تتغذى على الخوف هذا لأنني واحد منهم أو بالأحرى الجميع يحمل مثل هذا الوحش يختبئ في قلبه و ما أن يشم رائحة الخوف يخرج لإلتهامها خاصة إن كانت تخرج من شخص في مثل حالتك، ما سميتهم أنت بالوحوش سأسميهم أنا بالبشر أو كائنات النهار تلك الوحوش مثلنا لديها مشاعر إيجابية و سلبية و تختلف عنا في كيفية التصرف في هذه المشاعر، نحن نأتي هنا لمثل هذه الفضاءات للتخلص من الطاقة السلبية التي تجمعت في قلوبنا طوال النهار ليحل مكانها طاقة إيجابية بينما البشر لا يحملون في قلوبهم بذرة سلام لذلك يلجئون إلى إحساس غيرهم بالألم لكي يشعروا بالقوة، تكون أنت جالسا بدون أذى ليأتي أحد تلك الوحوش فيأخذ منك طاقتك الإيجابية و يمنحك طاقته السلبية.
- بل يسرقون.. يسرقون منا سعادتنا و أملنا و حياتنا

فوجئت بأنه لم ينهر تماما، في النهاية يبدوا أنه شخص قوي عكس ما توقعت.

- نعم سيرقون هذه صفة أدق، هكذا هم كائنات شريرة لا يستطيعون تحمل رأية أحدهم مرتاح البال بينما هم دون ذلك، لذا عليك الدفاع عن ممتلكاتك الخاصة من هؤلاء اللصوص، أيمكنك أن تجيبني كيف يتم ذلك؟

لاحظة أن خوفه قد تحول إلى غضب وحقد كبير ماذ فعلت يبدوا أنني أيقظه وحشا شرسا، من السهل سماع صوت تنفسه و صوت إحتكاك أسنانه ببعضها و يسحق بيده قناعه الطبي، عن نفسي شعرت بالخوف لفكرة أنني ألقيت بشرارة التي ستشعل نار لا تنطفئ، و كانت إجابته

- بسرقة شغفهم قبل أن تتاح لهم الفرصة لسرقة مشاعري، ستكون مشاعري أكبر من أيديهم القذرة، سأهاجم كبريائهم و أفضح نقاط ضعفهم حتى يتقلص حجمهم و يصبحون كدمى بين يدي سأجبرهم على إحترامي بصفتي حيا و أتقاسم معهم الأوكسجين، لن يفرضوا أنفسهم على أحد بعد الآن سيكون عليهم تدبر مستلزماتهم بأنفسهم، ما رأيك بأن يزورونا في عالمنا ليتعلموا معنى الحياة الإستقلالية؟
- نعم سيكون ذلك رائعا على كل حال الفضاء مفتوح للجميع.

يبدوا أنني أسأت الظن به في النهاية هو شخص طيب و لا يمكن أن يؤذي أحدا، كان قد نزع قناعه الطبي مسبقا ليستطيع التنفس بحرية، فأخذت النظارة من جيبي و ألقيتها بين ركبتيه إلتمسها بيديه مبتسما و قال

- لست بحاجتها، من الآن و صاعدا لن أختبئ في الجحور الخوف كالفأر بل سأكون قط شجاع

إلتقط عصا ملقاة بجانبي لم ألحظ وجودها قبل قليل أمر غريب أعطيته إياها و قلت

- يا عم أعذرني على وقاحتي منذ قليل وهذا عربون صداقة
- هههه شكرا سأحتاج هديتك حتما، ستكون خير صديق لي و ستذكرني بك
- هل تحتاج مساعدة؟
- إذهب في سبيلك سيبزغ الفجر قريبا، إعذرني على إضاعة وقتك
- لا شيء لقد استمتعت بصحبتك
- في لقائنا القادم سأنتقم منك في لعبة شطرنج و أفوز
- هههه سأكون في إنتظار، إلى اللقاء يا عم و كن حذرا من ضوء الشمس
- سأفعل.

ها قد رحل ضيفنا في سبيله فرحا مسرورا أرجو له التوفيق في محنته، طريقه شائك لكنه سيمر بأقل قدر ممكن من الأضرار.

رحلة بين الكتب

حسنا تبقت سويعات على موعد الرحيل أرغب حقا في زيارة المكتبة لإختيار كتاب أقرأه الفترة القادمة، لم أجد الوقت لقراءة صفحة واحدة في ضوء الشمس،

وقتي حافل لكن هدوء الليل هو أنسب وقت لقراءة ما تيسر، ها هو باب المكتبة لندخل، المكتبة ضخم و ممتلأة للآخر، لا يوجد أحد للإستقبال و لن تدفع ثمن ما تأخذه من الكتب، لسنا بلصوص هنا الجميع يأخذ كتاب أو إثنين ثم يعود لأخذ المزيد بعد إعادة ما سبق، كل من يزور هذه الزاوية لا بدّ أن يكون شريفا أو بالأحرى كل من يزورنا لا بد أن يكون شريفا، لا بد أنكم تتساءلون عن شكل المكتبة فأنا في حضرة قرّاء، في المدخل ممر لا تكاد تجد فيه موطئ لقدميك تغمره الكتب من كل جانب، أغلب الكتب تطرح تعريفات أو قصص تاريخية لحضارة ما، تكون دليلك قبل أن تغوص في أعماق بحر من الكتب و في آخر الممر تجد ساحة دائرية كبير تتوسطها عشرات الطاولات المغطاة بغلاف جميل و كراس خير مثال عن الراحة، الجدران عبارة عن رفوف من القاع لصقف ملئها كتب في شتى المجالات، و على سيرة السقف فهو عبارة عن لوحة فنية نقشط بمثالية متناهية، ستحتاج سلما من مائتي درجة لتصل إلى الرف العلوي، تناولت كتابا قد حفضت مكانه في آخر زيارة, إتخذت لنفسي مكانا هادئا للقراءة و كان من الصعب العثور على المكان لشدة الإزدحام، لن أذكر عنوان الكتاب لكن سأصفه قائلا أنه رواية فلسفية يقارب عدد صفحاتها الألف، تجربة القراءة هنا تختلف تماما عن ما هي في العالم الواقعي، بعد قلب الغلاف ينبثق نور من أول صفحة، ضوء خافت لا يأذي الأعين يخرج من بين الحروف ليسهل عليك القراءة، هنا ينصب تركيزك العقلي و الروحي على فهم الترابط بين تلك الصفحات، بعد كل كلمة ينطق بها قلبك يرتسم ركن من لوحة فنية يرسمها عقلك، و عندما ترفع عينيك عن الكتاب تتجسد أمامك تلك اللوحة، ترى الشخصيات تمشي بجوارك و الشوارع ممدودة بلا نهاية و ذلك نهر يمر من تحت جسور تمر منها العربات، تشعر و كأنك فرد من مسرحية، إن ركزت أكثر ستسمع صوت ضحكات فتيات في نزهة و هنّ متشابكي الأيدي و حوافر الأحصنة تجر عربات لأفراد من الطبقة الغنية فتمر العربة من خلالك لكنها مجرد سراب و تستمر الرحلة إلى أن تقرر إغلاق الكتاب، لقد إستمررت في القراءة و نسيت ضيق الوقت بقي ساعتان على وصول قطار العودة، كنت قد قررت مسبقا أن أزور المرأة التي في المشفى للإطمئنان على حالتها النفسية.

الصداقة جريمة

حملة في يدي باقة من الزهور مختلفة الألوان و مشيت لمدة قصيرة و ها أنا أمام غرفتها طرقت الباب فسمعت صوتا جميلا يؤذن لي بالدخول، دفعت الباب لأجد نفسي في غرفة صغيرة يتوسطها سرير و عربة للأدوية، تفاجأت المرأة كثيرا لرؤيتي لأنها لم تعرفني، أهديتها الزهور و استقبلتها بامتنان وطلبت مني بكل أدب أن أشاركها الجلوس، سحبت كرسيا و اتخذت جلسة وقورة لأمعن النظر في عينيها، إنها لوحدها تحكي قصة، لكنها تحاول جاهدة كبح نفسها من ارتكاب الحماقات يكفيها الخجل من ما حصل منذ قليل والذي تسبب في احمرار وجنتيها، إستمررنا في تبادل النظرات بسكوت تام لمدة دقيقة تقريبا و في ذلك الوقت تسنى لي ملاحظة أنها لا تزال فتاة شابة في بداية العشرينات، لم ألحظ ذلك عندما كانت تتخبط على الأرض، و هنا قاطعت سكوتنا بسؤالها.

- عذرا هل تعرفنا من قبل
- لا ليس تحديد، شعرت بالقلق بعد ما حصل لذا جاءت للاطمئنان على صحتك، اعتذر على تطفلي
- لا، لا تعتذر يروق لي ذلك، كما أن الأزهار جميلة
- شكرا على كرمك، أعذري فضولي لكن ما كل هذه الأدوية هل الأمر خطير؟
- كاد أن يكون كذلك لو لا التدخل الطبي و الذي كان في وقته، يبدوا أنني سأستمر في غيبوبتي لثلاث أيام إضافية.
- أرجوا لك الشفاء العاجل قد أحزنني سماع هذا النبأ، لا يبدوا من ملامح وجهك أنك شخص يستحق الإساء
- حقا، هل أبدو كذلك؟
- و أكثر، يكفي ما تسببت لك من إزعاج، جئت لأرى مدى خطورة وضعك و ها أنت ذا.
- تمهل قليلا ألا تريد سماع قصتي؟
- لا أرغب في أن أعكر صفوا مزاجك
- دعك من ذلك، بصراحة يروق لي الإفصاح عن ما في قلبي من ألم، لكنني لا أملك القوة الكافية لذلك، لذا سأكون سعيدة إن ساعدتني، أدرك أنك في عجلة من أمرك لذا لن آخذ من وقتك الكثير
- بكل سرور، إن كان ذلك في سبيل المساعدة لن أرفضه

- توقعت ذلك هالتك توحي بالنبل، نبل المشاعر.

شعرت بالخجل شديد لدرجة أن لساني عجز عن الكلام و لا بد أنها لاحظت ذلك لأنها ضحكت ضحكة خفيفة.

- ش...ش...شكرا، لما لا تبدئين بسرد قصتك؟
- ههه لك ذلك، قد لا يسهل ملاحظة ذلك لكنني لا أزال في الثامنة عشر من عمري، إكتشفت أنني لا أزال سطحية التفكير و ذاك بعد ما حصل، كان لي أصدقاء تعرفت عليهم قبل ثلاث سنوات ولا تزال علاقتنا قائمة على التسامح و الصراحة والثقة، أحببتهم بحق و ظننت أننا سنبقى أفضل أصدقاء للأبد، و يا خيبة الأمل.

في اليوم المشؤوم الذي زرت فيه صديقتي في منزلها بدعوة مسبقة، والدها فاحش الثراء لذا يروق لشخص أن يتجول في البيت و يمتع نضره بجمال تصميمه، لذا لم أكن من الرافضين و قبلتها بسرور، لعبنا الألعاب الإليكترونية في الإنتظار الوجبات السريعة و تقاتلنا بالوسائد، كانت سهرة رائعة، في النهاية إقترحت صديقتي أن نلعب " صراحة أم جرئة " قبلت طلبها على مضض لكننا أصدقاء في النهاية فما المشكلة، و بين هنا و هناك سألتني إن كنت معجبة بشاب في المدرسة، شعرت بتوتر و ذلك بحد ذاته إعتراف، فأخذت تلحّ على الإجابة فقلت لها (فولان) لاحت في وجهها دهشة أشعرتني بالرعب و إستبغ وجهها بصفرة قاتمة « قلت ما بالك؟ » لكنها أجابت « بلا شيء مهم » لكن صمت مطبقا إكتسح المكان، تعجبت كثيرا و قاطعت الصمت بضحكة و رددت إليها السؤال فأجابت بأنه ليس لها خليل، لكن وجهها لا يزال مصفرا، ثم قالت بأنها آسفة لكنها تشعر بالتعب و تحتاج لنوم، تعجبت و قلت بأن الغد عطلة و لا يزال الوقت مبكرا لكنها أصرت على رأيها و لم أعارضها أكثر، مشت معي إلى الباب المنزل، ودعنا بعضنا بحرارة ذهب كل في طريقه، وصلت إلى البيت و كنت في غاية التعب لذا ألقيت بأغراضي جانبا و نمت نوما عميقا، في الصباح إستيقضة على طرق عنيف و كان أبي قال بقسوة « أين هيا؟ » تعجبت قائلتا « أين ماذا؟ » سحبني من يدي إلى الخارج و يال الرعب كانت الشرطة على باب منزلنا تساءلت مذعورة عن ما يجري فقال الشرطي أنني متهمة بسرقة أحد التحف الثمينة لعائلة (فولان) قلت أنه مستحيل فقال أ تنكرين أنك زرت إبنته البارحة

فأجبت بنفي، هنا طلب من أبي الإذن بدخول لتفتيش المنزل و سمح لهم بذلك، بدأوا بتفتيش غرفتي، بين هنا و هناك تناول أحد الشرطيين حقيبتي و فتحها ثم قلبها رأسا على عقب فسقطت تلك التحفة، ضحك و قال لست سارقة ذكية. قاطعتها هنا قائلا :

- متى، متى سنحت لها الفرصة بدس التحفة في حقيبتك؟
- ربما عندما كانت توصلني إلى الباب، حتى و إن فتحت حقيبتي و ضعت فيها شيئا لن أتذك لأن ثقتي بها عمياء و هنا الموصيبة، تم إقافي بتهمة السرقة، أكثر ما آلمني رأية أبي بذلك الحال لا أريد أن أتذكره، تلطع شرف العائلة بالعار، لا ريب أنه يفضل الموت على أن يعيش هذه اللحظة، جاء لزيارتي في المعتقل، أقسمت أنني بريئة و أن التهمة قد لفقت لغاية ما، لكنه لم يصدقني بحجة من قد يحوك لي المكائد بالكاد أعرف ثلاث أشخاص، (بدأت نبرة صوت الراوية تنخفض شيئا فشيئا و كأن الكلمات تمزج بالحزن عميق قبل أن تخرج لمسمعي) في نفس يوم زيارتي أبي، جاءت صديقتي، كنت في غاية الغضب و طلبت تفسيرا لما يحدث، قالت أن هذا تحذير لما سيكون من عواقب إن لم أبتعد عن صديقها (فولان) كاد يغمى على من دهشة « ألهاذا فعلت فعلتك هل أنت مجنونة؟ » قالت نعم أنا كذلك، إرتسمت على وجهها نظرة لم أرها من قبل، قالت أنني أفضل منها في كل شيء و الجميع يسخر منها لأنها لا تملك شيء غير المال و يتعجبون كيف أن يكون لها أصدقاء، و اليوم أسرق منها من تحب لن يمر ذلك دون عقاب إضافتا أن ما حصل معي حتى الآن يكفي لكي أفهم الدرس و ستطلب الإصفاح عني لأخرج من الغد، بعد ذلك إقتربت لتهمس بكلمات في أذني، لا أذكر ما قلت حينها لكن صورتها و هي ترحل لن أنساها ما حييت، كنت تمشي بخطى بطيئة و رزينة لم تلتفت و لو لمرة كأنها تخلت عني نهائيا، هبط الليل و ها أنا هنا لا أعرف ما حصل لكنني وجدة نفسي في وسط هذه المدينة الصغيرة.
- هذا فضاء الأحلام إن كنت لا تعرفين يزوره كل حالم بعيدا عن آلام الواقع.
- هذه أول زيارة لي عندما أتحسن سيكون لي الشرف لتجول في زواياها.
- سأكون مرشدك.

- لي الشرف بذلك أيضا.
- بصراحة أنا مندهش تبدين سعيدة رغم ما قاسيته من متاعب
- ذلك الصراخ قد أخرج كل ما في قلبي من غظب، لكنني أسامحها، هي أيضا قد عانت و ذنب ذنبي لأنني لم ألاحظ معاناتها رغم قربي منها و تلاحم روحينا، سأكون العنصر الشرير إن لم أغفر لها ردة فعلها.
- بصراحة طيبة قلبك عجزت لساني عن الكلام.
- لا أنا شريرة أنا لا أصلح لأكون صديقة لأحد.
- لما تلقين باللوم على عاتقك، هل أنت واعية لقد وضعت أنف أبيك في التراب و داست على كبريائك.
- ادرك ذلك جيدا لكن ما أنا فاعلة، هذه طريقتها في الدفاع عن حياتها، لا بد أنها تقول يكفيك ما قطعت من جسدي، لذا ما المشكلة إن أخذتُ مقابل ما أخذتِ لن يضر، صحيح؟

لم أجد ما أقول، ارتخى جسمي على الكرسي مذهولا هل هذه طيبة أم شر أعجز عن الإجابة، لربما قوة صداقة أو أي شيء لا بد أن يكون لهذا إسم لذا سألتها

- ما إسم هذا؟
- ماذا تقصد؟
- سلوكك هذا لم أجد له إسما
- لا أعرف ربما إسمه وفاء، نعم سيكون ذلك مناسبا، كنت عند واجباتي كصديقة لآخر مرة، أعرف أن هذه الصداقة لن تعودة كما كانت لذلك ذهبت لتطلب الإفصاح عني تذكيرا بأن صداقتنا لم تكن كذبة، كان بإمكانها أن تتركني أتعفن في الزنازن لكنها لم تفعل و كان من واجبي كصديقة أن أسامح فعلتها، فكما يقال « كِيلوا بالكيل الذي يُكال لكم »

مراجعة سريعة

طلبت الإذن بالمغادرة، و بينما أنا أتمشى راجعا لمحطة القطار، راجعت نفسي و تفاصيل مغامرتنا اليوم لأخرج بإستنتاج أقول فيه : أن القسوة التي يشتكي منها الجميع لا تكمن في صعوبة المعيشة أو المشاكل دولية، تحديدا تكمن في النفوس البشرية، إنسدت قلوبنا بالطين، طين تكاثف يوم بعد يوم إلى أن إنعدمت مشاعرنا و أصبح الدوس على مشاعر أخوتنا عادة أو مزاح، لا نشعر بمسؤلياتنا تجاح المجموعة، رغم أنك لن تجد بشريا يعيش وحيدا إلا أن الجميع منفصل عن الآخر

بجدار من الطين، الأول شاب سنحت له حياة لمعرفة معنى أن تكون فرد من عائلة ليكن شاكرا، لطيبة قلبه وقف عند واجباته لكنه لم يقدر على إتمامها على أكمل وجه و عندما طالب بحقوقه قيل له حقك الوحيد أن ليكون لك واجبات و لا سبيل إلى الإنفراد بأولوياتك، إستقلاليتك تعنى خروج عن الميثاق فالتقف عند حدك، من الآن و صاعدا بيت الكلب سيكون مسكنك الجديد، دائما تشتكي رغم أننا نوفر لك المأكل و دفئ و نرفه عنك من حين إلى حين، إستمر النباح ليال طويلة و في النهاية ضرب بالعصي بحجة أنهم لا يفهمون لغة الكلاب، سئم النظر للعالم من خلف الأسوار و ها هي فرصته في الهرب تطلب منه الإرتماء في أحضان الحرية، ليس من السهل التجول في الشوارع المزدحم لكنه سعيد، كلما إبتعد خطوت عن البيت يزداد الطوق عنقه تقلصا، ها قد إتخذ قراره الموت في هذه الشوارع أرحم من أن يدفن وراء تلك الأسوار.

الثاني شرب من بئر ملوث ليس له خيار إما ذلك أو يموت من العطش، سرق السم بصره و سرق أبناء عمه حياته، ضنوا أنه أعمى، لكنه كان يبصرهم طول الوقت، كان يبصرهم بقلبه أزاح عنهم أقنعتهم البشرية لتكشف حقيقة ما في قلوبهم إنهم أشد كائنات شرا، يعرضون عضلاتهم على الضعيف و يأكلون من لحم جثته اختبأ وراء قناع لكن رائحته ما تزال تغريهم، أقتلوني لينتهي عذابي، لا ستكون شجرة نأكل منها ما طاب كلما شعرنا بالجوع، ذلك السم قد إنتقل إلى الثمار ثم إلى أحشاء أولئك المسوخ، الوقت ينفد منهم و لم يعرفوا أن حياتهم تتقدم خطوة نحو المجهول بعد كل قضمة من تلك الثمار.

الثالثة فتاة تكرمت عليها الحياة بنعمها، يا ذات الرداء الأحمر إحذري فالحقد يجاورك لكنها كانت تثق بكثافة الأشجار، سمعت همسات تخرج من الظلمة قالت إنه صوت الرياح، اعترض طريقها صديقنا يتساءل ماذا تحملين و إلى أين، خانتها ثقتها الزائدة بقولها أنها تحمل عربون صداقة إلى من يسعد قلبها، تضاربت المصالح، يا أختاه سعادتك ستضرب جدار معدتي قبل أن تضفري بها، لم تدرك ما حصل لقد كانت مزحة قاتلة الدماء في كل مكان، لكن ذلك لم يقتل إبتسامتها، الذنب ذنبي لأنني لم أنتبه لخطواتي لقد سرت في الطريق الخاطئ، لم أعرف أنك تشعر بالجوع لهذه الدرجة لو أخبرتني من البداية لتقاسمنا ما في السلة سيسعدني ذلك قلبي.

الإعتراف

هل تسمعون صافرة القطار إنه يقترب حان موعد الرحيل، اتضح في النهاية أن صديقكم الحالم مجرد كابوس، كابوس جميل، لربما الأول من نوعه أقتحم أحلام الناس لأحل مشكلاتهم، أتخلى عن حلمي في سبيل إسعاد أحلام الغير هذه وظيفتي وأنا أحبها آسف لأنني كذبت عليكم ستعذرون خطيئتي أثق بذلك، سأكون أنانيا إن لم أخبركم بقصتي، بعد أن نصعد القطار، لا يمكنني أن أنام الليل و هناك من يحترق بضوء الشمس، لذا أزوركم في أحلامكم لأغسل قلوبكم بماء الحنان و العطف، أعتقد أنه تم إصطفائي لأكون مرشدا لكم، لن يتوه أحد عن الطريق بعد الآن، ها هو ذلك الشاب يقف في الزاوية و هو يضع سماعات الأذن سعيدا بشوشا، و هناك ذلك الكهل يلتمس القدر بعصاه سيكون بخير متأكد من ذلك، وصل القطار إلى وجهته و ها هي أشعة الشمس تنبثق من العدم بدأ جسمي بالاختفاء، انتهت رحلتي لليوم نظرت للخلف، إلى كل هؤلاء الحالمون « يا أحبابي و أصدقائي رغم أن ضوء القمر انعكاس لضوء الشمس إلا أنه أعمق و أجمل بكثير، هكذا هي الأحلام تذكروا ذلك جيدا، عيدوني أننا لن نلتقي مجددا و أنكم ستعيشون بسعادة تحت ضوء الشمس » و إلى هنا تنتهي قصتنا.

أرجوا أن تكون قد أعجبتكم، إنها أول تجربة لي في السرد القصصي و إختبار لمدى مهارة الروائية سأحرص على تحسينها أكثر فأكثر لتزيد متعتكم و تتسع بسمتكم.

📝 وَائـلُ الـهـويـدِيُّ